دور مراكز الفكر في صنع السياسة الخارجية الأمريكية

- الحرب على العراق أنموذجا-

حنان رزايقية
باحثة دكتوراه، جامعة الجزائر ـ 3

ملخص :

تعالج هذه الدراسة دور مراكز الفكر والرأي في صنع السياسة الخارجية الأمريكية، و التي أصبحت من أبرز سمات المجتمع السياسي الأمريكي، وأحد أهم المحددات الرئيسية في صناعة سياسته الخارجية.

تضطلع مراكز الفكر والرأي بدور هام في صنع وتوجيه السياسة الخارجية الأمريكية، من خلال تحديد أولويات القضايا الإستراتيجية التي تواجه الولايات المتحدة، وتقديم خيارات إستراتيجية مناسبة للدور الأمريكي في الشؤون الدولية، معتمدة في ذلك على مجموعة من الآليات والأساليب التي تمكنها من التأثير في عملية صنع السياسة الخارجية.

وقد لعبت مراكز الفكر والرأي دور بارزا تجاه القضايا المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط، حيث ساعدت في صياغة التوجه الأمريكي تجاه هذه المنطقة في أوقات السلم والحرب، فكانت الحرب العراقية 2003 مثالا واضحا للتأثير القوي الذي تمارسه هذه المراكز في صنع السياسة الخارجية الأمريكية، وبذلك سيتم التركيز في هذه الورقة البحثية على دور مراكز الفكر في الحرب الأمريكية على العراق 2003، خاصة وأن فكرة هذه الحرب تم التخطيط لها ضمن مراكز الفكر والرأي، حتى بالنسبة لمسألة الانسحاب من العراق كان لها دورا بارزا فيها.

الكلمات المفتاحية: مراكز الفكر والرأي، السياسة الخارجية الأمريكية، الحرب على العراق.

Abstract :

This study deals with the role of the think tanks in making the American foreign policy. These centers that have become one of the most prominent features of the American political community and among the main determinants in the production of its foreign policy Think tanks has an important role in making and directing the American foreign policy through determining the priorities of the strategic issues which faces the us and gives the adequate strategic choices for the American role in the international affairs dependent on a range of methods that enable it to effect the making process of the foreign policy

Think tanks have a prominent role in the issues related to the middle east that helped in the formation of us approach toward this region in the war and peace moments Iraq war 2003 was a clear example in the great influences that these centers had played in making the American foreign policy so, this research paper will focus on the prominent role of think tanks in the planning of the American war against Iraq and even the withdrawal from it

Key Words: Think tanks, American foreign policy, war Iraq.

مقدمة:

تحظى السياسة الخارجية الأمريكية باهتمام كبير من قبل الباحثين المهتمين بالشؤون الدولية على اعتبار أنها تهيمن على معظم التفاعلات الدولية، فهي تعبر عن تفاعل أقوى دولة في العالم مع مختلف الدول والعناصر المجودة في النظام الدولي، كما أنها تمثل مركز الثقل الأساسي عل الساحة الدولية نظرا إلى تأثير سياساتها في سياسات باقي الدول، وأكثر ما يشد انتباه وتركيز الباحثين والأكاديميين في كل أنحاء العالم هو سياسة هذه الدولة العظمى تجاه منطقة الشرق الأوسط باعتبار أن كل توجهاتها الخارجية مركزة على هذه المنطقة ذات القيمة الإستراتيجية الكبيرة بالنسبة لها، خاصة منذ نهاية الحرب الباردة، حيث ظهر ذلك جليا من خلال حرب الخليج الثانية التي تم فيها تدمير القوة العراقية بشكل كامل، ولم تكن هذه الحرب سوى ذريعة لبداية لتنفيذ مختلف مخططاتها في المنطقة، ونتيجة ذلك كانت حربها الأخيرة على العراق 2003.

إن الحرب الأمريكية على العراق 2003 تم التخطيط لها منذ نهاية عاصفة الصحراء التي كبدت العراق خسائر كبيرة، وقد تبلورت فكرة الحرب في شكل مشروع أطلق عليه "مشروع تحرير العراق"، هذا الأخير الذي ساهم في بلورته مختلف الفواعل المعنية بصنع القرار الخارجي الأمريكي، إلا أن فكرة هذا المشروع الأساسية تعود لمراكز الفكر والرأي التي يتم فيها صنع مختلف الاستراتيجيات الأمريكية.

إن مؤسسات الفكر والرأي الأمريكية تعمل بشكل مستمر على إنتاج استراتيجيات وتوجيه السياسة الأمريكية بما يخدم مصالحها القومية ومتطلباتها التوسعية، وهذا ما سيتم إبرازه في هذا المقال العلمي.

بناءا على ما تقدم ستتركز الإشكالية المركزية لهذه الدراسة حول:

إلى أي مدى أثرت مراكز الفكر في صنع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق؟

والإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي مراكز الفكر والرأي؟
- كيف نشأت مراكز الفكر وتطورت في الولايات المتحدة الأمريكية؟
- ما هي مميزات مراكز الفكر والرأي الأمريكية؟
- ما هو الدور الذي تضطلع به مراكز الفكر في صنع السياسة الخارجية الأمريكية؟
- كيف ساهمت مراكز الفكر والرأي في صنع السياسة الخارجية الأمريكية في العراق؟

فرضيات الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على مجموعة من الفرضيات التالية:

- تعرف السياسة الخارجية في فكرها و في صنعها، في الدول الكبرى، مشاركة مؤسسات فكرية تصنع العقيدة الإستراتيجية و تضع الأسس لحركية تلك السياسة في العالم.
- عرفت الولايات المتحدة الأمريكية ظاهرة مراكز الفكر و منحتها مكانة في صياغة فكـــر و حركية السياسة الخارجية الأمريكية في العالم ارتكازا على أن تلك المراكز هي واجهة المحور الصناعي- العسكري المتنفذ في دوائر صنع القرار الأمريكي على أكثر من صعيد فدراليا (الرئاسة، الكونغرس) و المحلي (جماعات ضغط كبرى).
- مثل العراق، في هذا الإطار، الأنموذج الأمثل لتعاضد عمل تلك المراكز الفكرية في التمهيد للغزو، ثم في التعامل مع حركية التطورات على الساحة العراقية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تهدف لمعرفة الدور المنوط بواحدة من أهم الفواعل غير الرسمية في صنع السياسة الأمريكية المتمثلة في مراكز الفكر والرأي، هذه الأخيرة التي تعمل بشكل مستمر على إنتاج استراتيجيات مختلفة وتوجيه السياسة الخارجية الأمريكية بما يخدم مصالحها الوطنية، كما أن هذا البحث سيركز على دور هذه المؤسسات في صنع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق منذ بداية التخطيط لهذه الحرب وأثناء الحرب وبعدها، حيث اختلفت أراء ومواقف هذه المراكز في مختلف مراحل هذه الحرب وهو ما انعكس بذلك على السياسات الأمريكية المتبعة في مختلف مراحل الحرب على العراق.

المحور الأول: ماهية مراكز الفكر والرأي الأمريكية.

أولا: تعريف مراكز الفكر والرأي (Think-Tanks)[*]: لابد من الإشارة هنا وقبل كل شيء إلى الدلالة المفاهيمية لهذه المؤسسات التي تعتبر أكثر من ظاهرة بسيطة رائجة، حيث ينظر إليها جيمس ماكغان على أنها" **هيئات مستقلة للبحث تكرس وقتها لمسائل المصلحة العامة وتحليلها**". كما تعرفها فيليبا شيرنغتون(p.Sherringtonf) على أنها" **تنظيمات مستقلة نسبيا ومنخرطة بالبحث في أوسع نطاق من المصالح.هدفه الأول هو انتشار هذا البحث أوسع ما يمكن بنية التأثير على سيرورة تحضير السياسيين للشأن العام**"[10]. لقد تم التركيز في هذين التعريفين على اعتبار مراكز الفكر مؤسسات مستقلة تهدف لخدمة المصلحة العامة، في حين تم إغفال جزئيات مهمة في تعريف هذه المراكز، خاصة فيما يتعلق بكون مؤسسات غير ربحية هدفها نشر المعرفة والأبحاث العلمية التي

تساعد الجهات الرسمية في صنع السياسات من جهة، وتساهم في توعية وتعريف المجتمع بمختلف القضايا الهامة في مختلف المجالات، وبالتالي فهي بمثابة وسيلة ربط بين صناع القرار الذي تمده بمختلف الخيارات المناسبة لصنع سياسات تخدم الصالح العام، والمجتمع الذي تمده بمعلومات حول هذه السياسات.

وقد عرافها هوارد ج وياردا Howard J Wiarda (أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جورجيا، وأستاذ باحث في مركز "ودورو ويلسون"في واشنطن) بأنها عبارة " عن مراكز للبحث والتعليم، ولا تشبه الجامعات أو الكليات، كما أنها لا تقدم مساقات دراسية؛ بل هي مؤسسات غير ربحية، وإن كانت تملك "منتجا" وهو الأبحاث. هدفها الرئيسي البحث في السياسات العامة للدولة، ولها تأثير فعال في مناقشة تلك السياسات. كما أنها تركز اهتمامها على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والسياسة العامة، والدفاع والأمن والخارجية. كما لا تحاول تقديم معرفة سطحية لتلك المسائل؛ بقدر مناقشتها والبحث فيها بشكل عميق ولفت انتباه الجمهور لها"[2]، وتقدم مؤسسة راند الأمريكية تعريف لها باعتبارها إحدى أهم مراكز الفكر الأمريكية بقولها **"هي مؤسسة غير ربحية تساعد على تحسين السياسات وصنع القرار من خلال البحث والتحليل"**[3].

وقد كان يشار لهذه المراكز في الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية باعتبارها غرفة أو بيئة آمنة يستطيع علماء الدفاع والمخططون العسكريون الاجتماع فيها لمناقشة الأمور الإستراتيجية[4].

فهي تعتبر منظمات تقوم بأنشطة بحثية سياسية تحت مظلة تثقيف وتنوير المجتمع المدني بشكل عام، وتقديم النصيحة لصناع القرار بشكل خاص، ومن المهم عند دراسة تاريخ هذه المؤسسات ودورها في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية الإشارة إلى التنوع الهائل للمجتمع الأمريكي الذي يحوي هذه المؤسسات، وإلى اللامركزية في النظام السياسي الأمريكي التي ساهمت في انتشارها، بالإضافة إلى الضخ الكبير للأموال للمؤسسات الخيرية التي تحولت إلى مراكز تفكير فيما بعد[5]، كما أنه هناك اتفاق بين الباحثين على اعتبار مراكز الفكر بأنها كيانات ذات توجه بحثي لا تهدف لتحقيق الربح، هدفها الأول ممارسة التأثير على الرأي العام والسياسات العامة[6].

من خلال مختلف التعريفات السابقة يمكن اعتبار مراكز الفكر والرأي بأنها عبارة عن مؤسسات مستقلة وغير حزبية، تقوم بتقديم أبحاث ودراسات في مجالات مختلفة تهدف لتحسين السياسات العامة للدولة، ونشر الثقافة والمعرفة العامة، والتأثير في عملية صنع السياسة الخارجية، وذلك من خلال التركيز على مناقشة مختلف القضايا الساخنة، وهي مؤسسات غير ربحية تعتمد على مجموعة من الآليات والاستراتيجيات للتأثير على صانع القرار.

ثانيا: نشأة مراكز الفكر في الولايات المتحدة

بدأ ظهور وانتشار هذه المؤسسات الفكرية خاصة المتعلقة بالسياسة الخارجية في الولايات المتحدة في بداية القرن الماضي، بسبب رغبة كبار الممولين والسياسيين والمثقفين في خلق مؤسسات يجتمع فيها الباحثون والقادة من القطاعين العام والخاص، لمناقشة القضايا العالمية والتداول بشأنها من جهة، وحاجة صانعي السياسة غير المحدودة إلى المعلومات والتحليلات المنتظمة المتصلة بالسياسة، حيث ظهرت ثلاث مؤسسات بشكل خاص في الولايات المتحدة خلال العقود الأولى من القرن العشرين (مؤسسة كارنيجي للسلام العالمي سنة 1910، ومؤسسة "هوفر(نسبة إلى مؤسسه الرئيس الراحل هربوت هوفر)" حول الحرب والثورة والسلام سنة 1919، ومجلس العلاقات الخارجية سنة 1921)، و بالرجوع إلى عام 1916 ظهر"معهد الأبحاث الحكومية" الذي اندمج فيما بعد مع مؤسسة "بروكينغر" سنة 1927، ثم مع "معهد المشروع الأمريكي لأبحاث السياسة العامة" سنة 1943، وهو عبارة عن مؤسسة فكر ورأي محافظة تحظى بأهمية كبيرة، ركزت على القضايا الخارجية في عملها[7]، أما الموجة الثانية في تاريخ نشأة هذه المؤسسات هو بعد عام 1945 أي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عندما تولت الولايات المتحدة الأمريكية زمام القوة العظمى (مع اندلاع الحرب الباردة)، بحيث تلقت العديد من هذه المؤسسات الدعم من قبل الحكومة الأمريكية، التي كرست موارد ضخمة للعلماء والباحثين في مجال الدفاع[8]،وهنا يبرز تاريخ نشوء مؤسسة راند(RAND) الأمريكية في عام 1946، هذه المؤسسة التي بدأت عملها في خدمة شركة دوغلاس للطائرات ثم أصبحت مؤسسة مستقلة غير هادفة للربح عام 1948 لربط التخطيط العسكري مع البحث والتطوير، اهتمت بمجموعة واسعة من المواضيع والقضايا الإستراتيجية العسكرية والسياسية والدبلوماسية بالغة الحساسية والبحث في أسسها وقواعدها وأطلقت دراسات متعلقة بتحليل النظم، وكذا نظرية اللعبة، ومع بداية عام 1970 كانت في الولايات المتحدة عشرات المراكز والمؤسسات البحثية التي تضم عدد كبير من الموظفين وتستهلك ميزانية كبيرة، وقد ركزت عملها على تقديم النصح والمشورة السياسية والعسكرية، ولكن مع نهاية عام 1970 تزايد عدد هذه المؤسسات بشكل مذهل ولكنها هذه المرة بحجم أصغر وطريقة عمل مختلفة عما سبق، حيث أصبحت يطبعها الطابع الحزبي والمواقف ذات الأسس والجذور الفكرية والأيديولوجية[9]، وهذه المرحلة هي الموجة الثالثة لتطور هذه المؤسسات.

لقد التزمت مؤسسات الفكر والرأي التي أنشئت خلال العقود الأولى من القرن العشرين، بتطبيق خبراتها العلمية على مجموعة من القضايا السياسية، وكما يشير "كنت ويفر"-باحث في مؤسسة بروكغنز-، إلى أن هذه المؤسسات أمثال مؤسسة كارنيجي الخيرية وبروكينغز، تعمل**" كما لو كانت جامعات بلا طلبة"** وتعطي الأولوية لإنتاج أبحاث أكاديمية من نوعية عالية، فهي تصدر

الكتب، والمجلات، والمواد الأخرى التي تستهدف أنواعا مختلفة من القراء، وبالرغم من أن هذه المؤسسات قدمت منذ نشأتها المشورة والتوجيه لصانعي السياسة، إلا أنه يبقى هدفها الأول مساعدة وإعلام صانعي السياسة والجمهور بخصوص العواقب المحتملة لإتباع مجموعة من الخيارات في السياسة الخارجية، وبالتالي فهي لا تسعى للتأثير المباشر في القرارات السياسية(10)، ومع بداية القرن العشرين أصبح هناك أكثر من 1200 مؤسسة للفكر والرأي تهتم بقضايا السياسة الأمريكية وتهيمن عليها، وقد شكلت مجموعة غير متجانسة من حيث اتساع نطاق المواضيع ومصادر وطرق التمويل والمواقع التي تشغلها، وقد كانت هذه المراكز ذات انتماءات مختلفة فمنها المنتمية للجامعات مثل مؤسسة بحوث الشرق الوسط التابعة لجامعة كولومبيا، ومنها التابعة لأحد الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة الأمريكية مثل معهد بروكنجز(Brookings Institution) الذي يميل إلى الحزب الديمقراطي ومؤسسة هيرتيج (Heritage foundation) التي تميل إلى الحزب الجمهوري، ومنها ما هو تابع لهيئات حكومية مثل جامعة الدفاع الوطني (Nation Defense University) ومركز بحوث الكونغرس(Congressional Reseach Service)، كذلك هناك مؤسسات بحثية تابعة لمؤسسات خاصة كبرى مثل مؤسسة كارينجي للسلام الدولي(Carnegie Endowment For International Peace)، وهناك المؤسسات التقليدية للسياسة الخارجية مثل مجلس العلاقات الخارجية (Council of Foreign Relation) ومؤسسات متخصصة مثل الجمعية الوطنية للعلوم السياسية (American Political Science Association)، وهناك المؤسسات التابعة للوبي الصهيوني (اللجنة الوطنية اليهودية)...إلخ (11).

ويرجع سبب انتشار هذه المؤسسات بكثرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حاجة صانعي السياسة الأمريكية للنصائح المستقلة حول السياسة الخارجية الأمريكية باعتبارها دولة عظمى، مما زاد من مسؤوليات صانعي القرار في أن تصبح أمريكا السلطة المهيمنة في عالم ثنائي القطبية، فكان اللجوء لخبرة هذه المؤسسات من أجل مساعدتهم في تطوير سياسة الأمن القومي، وهو ما وفرته بالفعل مؤسسة "راندRAND" التي تم تأسيسها سنة 1948م لتعزيز وحماية المصالح الأمنية للولايات المتحدة خلال العصر النووي، بالإضافة إلى ملء الفراغ في السياسة الخارجية لدى مجتمع الأبحاث، وكانت هذه بداية جيل جديد من مؤسسات الفكر والرأي المتعاقدة مع الحكومة والممولة من قبلها(12).

ثالثا: مميزات مراكز الفكر والرأي في الولايات المتحدة الأمريكية

إن ما يميز مؤسسات الفكر والرأي الأمريكية عن غيرها في أنحاء العالم الأخرى، هو عددها الهائل وكذا انخراطها بشكل كبير في النشاط السياسي، وقدرتها على التأثير المباشر وغير المباشر في صنع السياسات واستعداد صناع القرار لتحويلها وفقا للمشورة المقدمة من قبلهم، ومن المهم الإشارة إلى

أن هذه المؤسسات تختلف عن بعضها من حيث التأثير على السياسة وكذا من حيث القضية محل الاهتمام، فنجد مثلا معهد أميركان إنتربرايز ومؤسسة التراث لها دور فعال في المساعدة على تأطير المناقشات السياسية (مثل الجدل الدائر حول مشروع الدفاع الصاروخي)، في حين أن هناك مؤسسات أخرى هي أكثر تأثير على صناع السياسات مثل مؤسسة راند التي تعمل بشكل وثيق مع صناع القرار من أجل تقييم تكاليف ومنافع تطوير تقنيات عسكرية جديدة[13].

المحور الثاني: دور مراكز الفكر في صنع السياسة الخارجية الأمريكية

تلعب مؤسسات الفكر والرأي دورا بارزا في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية في كل الشؤون الدولية بصفة عامة، وتجاه منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، حيث ساعدت في صياغة التوجه الأمريكي الخارجي لفترة تقارب القرن، ويعود الدور الهام لمراكز الفكر في صنع السياسة الخارجية الأمريكية إلى عاملين أساسيين هما[14]:

- طابع اللامركزية في النظام السياسي الأمريكي (النظام الفدرالي) الذي يتيح الفرصة والقنوات الشرعية للمشاركة في صنع وتطبيق السياسة الخارجية بطرق مباشرة وغير مباشرة، وبما لا يجعل من السياسة الخارجية حكرا على مؤسسة دون الأخرى.
- انخراط الولايات المتحدة كفاعل رئيسي في العلاقات الدولية منذ بداية القرن العشرين، وتطور هذا الدور عبر مراحل مختلفة، فقد صاحب هذا التطور منذ بدايته ظهور المراكز البحثية الأمريكية مثل (مركز كارنيجي للسلام الدولي ومؤسسة هوفر للحرب والثورة والسلام ومجلس العلاقات الدولية).

ويمكن القول بأن هذه المراكز لها عدة طرق ومجالات تشارك أو تؤثر من خلالها على صانعي السياسة الخارجية والمتمثلة فيما يلي[15]:

- ✓ توليد أفكار وخيارات مبتكرة في السياسة الخارجية: فهي تحمل طابع الابتكار والإبداع والابتعاد عن النمطية، كما أنها تلتزم بالمحافظة على النظرة الواقعية للأمور مع استشراف أفاق مستقبلية بعيدة، وهي تقدم المشورة لمرشحي الرئاسة حول عدد من القضايا الداخلية والخارجية ومثال ذلك تبني حكومة رونالد ريجان مطبوعة لمؤسسة هيرتيج بعنوان "تفويض للتغيير" كبرنامج عمل للحكم بعد انتخابات 1980م.
- ✓ تأمين مجموعة جاهزة من الاختصاصيين للعمل في الحكومة، وهي وظيفة مهمة فعلى سبيل المثال استعان الرئيس رونالد ريجان خلال عهدتيه بمائة وخمسين شخصا من مؤسسة هيرتج ومؤسسة هوفر ومعهد انتربرايز الأمريكي .

- ✓ توفير مكانا للنقاش على مستوى رفيع: تلعب مؤسسات الفكر والرأي دورا في التوصل إلى تفاهم مشترك إن لم يكن هناك إجماع حول خيارات السياسة الخارجية، وتقوم بشرح السياسات الجديدة.
- ✓ تثقيف مواطني الولايات المتحدة عن العالم: فهي تساعد في إثراء الثقافة المدنية الأمريكية عن طريق تعريف المواطن الأمريكي بطبيعة العالم الذي يعيش فيه .
- ✓ وسيلة مكملة للجهود الرسمية في حل النزاعات: تلعب هذه المراكز دور نشيط في السياسة الخارجية عبر رعايتها للحوارات الحساسة وتأمين وساطة فريق ثالث بين أطراف النزاع.

وفي هذا الصدد نجد ريتشارد هاس (مدير دائرة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية) يؤكد : **على أن مؤسسات الفكر والرأي من وجهة نظر صانعي السياسة في الولايات المتحدة تقدم اليوم خمس فوائد رئيسية، فيقول أنها تولد "التفكير الجيد" لصانعي السياسة الأمريكية، توفر خبراء للعمل في الإدارة والكونغرس، وتعطي لصانعي السياسة حيزا لبناء فهم مشترك حول الخيارات السياسية، وتثقف مواطني الولايات المتحدة عن العالم، وتوفر وساطة طرف ثالث لأطراف النزاع**[*][16].

ويؤكد(جيمس ماك جين) أحد خبراء معهد بحوث السياسات على أن المراكز البحثية ليست فقط للتزويد بالمعلومات ولكن يستعان بها من أجل وضع تقرير وأجندة السياسات، وتزداد أهمية المراكز من خلال قيامها بدراسة كافة المستجدات الدولية ومعرفة أثرها على المصالح الأمريكية وإعداد السبل لتحقيق هذه المصالح واختيار أفضل وسائل التطبيق، كما تزداد أهميتها بشكل خاص عندما تكون للرئيس رؤية أيديولوجية ثابتة وواضحة وهو ما حدث للرئيس جورج بوش الابن خلال إدارته حيث كان دور مؤسسة "أمريكان انتربرايز" دورا بارزا في مجمل الملفات بما في ذلك الحرب على العراق[17].

كما أنها تلعب دورا هاما في بناء الدعم لصناع السياسات العامة بخصوص التوجهات الرئيسية للدولة في الخارج، وما يمكن قوله في هذا الإطار هو أن مراكز الفكر والرأي لعبت دورا بارزا في مجال السياسة الخارجية والأمن الوطني، هذا الدور الذي كان رد طبيعي على تعميق المشاركة الأمريكية باعتبارها قوة عظمى في المجال الدولي خلال نصف القرن الماضي[18]، ويتمثل أحد أهم أسباب نجاح المراكز البحثية في أنها تقوم على تمويل ذاتي مستقل غير مرتبط بالمؤسسات الحكومية، وبالتالي فهي حافظت على قدر كبير من الاستقلالية، فهي بالأساس مؤسسات غير هادفة للربح، معفاة من الضرائب الأمريكية وتقوم على التبرعات الفردية والجماعية من الشركات الكبرى والتمويل الذاتي عن طريق بيع الكتب والإصدارات البحثية والدوريات المتخصصة، كما أن بعض هذه المراكز لا تقبل أي

معونات حكومية، والبعض الأخر يقوم بعمل عقود مع الحكومة الأمريكية من أجل القيام بأبحاث ودراسات لبعض أجهزتها مثل السلاح الجوي الأمريكي المتعاقد مع مؤسسة راند على تمويل أبحاثه عن التحديثات التي تقوم بها الصين على سياستها الدفاعية، وآثارها على السلاح الجوي الأمريكي[19].

وتعتمد مؤسسات الفكر والرأي على مجموعة من الاستراتيجيات لنقل آرائهم إلى صانعي السياسة والجمهور، وتتمثل في : عقد المؤتمرات العامة وحلقات دراسية لمناقشة مختلف قضايا السياسة الخارجية، وتشجع العلماء المقيمين لديها على إلقاء محاضرات في الجامعات، ونوادي الروتاري وغيرها، والإدلاء بشهادات أمام اللجان التشريعية، وتعزيز الظهور في وسائط الإعلام المطبوع والإلكترونية، ونشر البحوث، وإنشاء الصفحات والمواقع على شبكة الإنترنت، وقد يسعى الخبراء المنتمين لهذه المؤسسات للمشاركة في السياسة الخارجية عن طريق قبول مناصب في الحكومة كوزراء، أو كنواب وزراء، أو غيرها من المناصب في الحكومة الاتحادية (والعديد من صانعي السياسة يعودون بعد انتهاء عملهم في الحكومة إلى مؤسسات الفكر والرأي أو يتخذون إقامة لهم فيها)، كما يعملون كمستشارين خلال الانتخابات الرئاسية، أو يعملون في فريق عمل لانتقال المهام الرئاسية، أو في المجالس الاستشارية الرئاسية أو تلك التابعة للكونغرس، كما تقوم بتزويد صانعي السياسة سواء كانوا في الكونغرس أو في الحكومة بالتقارير السياسية الموجزة وبالدراسات المتعلقة بقضايا السياسة الخارجية[20].

ما يمكن قوله هو أن مراكز الفكر والرأي هي من أهم مصادر المعلومات والتحليلات والفكر والمعرفة عبر الأبحاث والدراسات التي تقوم بنشرها في الولايات المتحدة، والتي تؤثر على المجتمع والدولة بشكل عام وبصور مختلفة مباشرة وغير مباشرة، وقد ساعدها في القيام بهذه الوظائف الانتشار الواسع لوسائل الاتصال والإعلام المتنوعة، وحرية التعبير عن الرأي، وهو ما أدى إلى سهولة انتشار وتبادل الآراء والأفكار والمعلومات، فوسائل الإعلام أصبحت أدوات لإيصال الأفكار والآراء للمستفيدين من السياسيين والمختصين الآخرين، وفي نفس الوقت مراكز الفكر والرأي تزود وسائل الإعلام بالأفكار والآراء الجديدة والمبتكرة والتحليلات والإحصاءات، ومنه أصبح هناك تفاعل كبير بين مؤسسات الفكر ووسائل الإعلام، كما أن رواد هذه المؤسسات الفكرية تربطهم علاقات وطيدة بالسياسيين الأمريكيين أو بالأحرى بالسياسة بصورة عامة، فهم إما أنفسهم صناع السياسة السابقين أو سيصبحون صناع السياسة في المستقبل، فمختلف المؤسسات الرسمية الأمريكية تعمل على توظيف خبراء مراكز التفكير في مناصب هامة فمثلا نجد مارتن إنيك مدير مركز سابان لشؤون الشرق الأوسط بمعهد بروكينغز عمل مساعدا لوزير الخارجية وسفيرا في إسرائيل [21].

تعتبر مراكز الفكر من أهم الجهات المؤثرة في عملية صنع القرار فكثيرا من موظفي هذه المراكز يصل للعمل بالإدارة الأمريكية، كما أن هناك أيضا من يخرج من الإدارة يذهب إلى هذه المراكز، حيث

أن توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تم كشف أغلاطها وعوامل ضعفها بواسطة مراكز الدراسات الأمريكية بما أدى إلى التعرف على أسباب الفشل ومن ثم القيام بصنع قرارات تتصدى للفشل والإخفاق[22].

على الرغم من أن هذه المؤسسات من أهم مبادئها أنها لا تهدف للربح كما سبق الذكر فإن ذلك يعتبر نظريا فقط، ولكن بالرجوع إلى أرض الواقع نجد أن أغلب هذه المؤسسات كانت تسعى لتحقيق أرباح شخصية من وراء أعمالها فنجد مثلا مؤسسة راند لها علاقة وطيدة مع البنتاغون والمجمع العسكري الصناعي، حيث تحصل على مواردها المالية من قبل البنتاغون والمجمع، هذا بالإضافة إلى تعاقدتها ودعمها من قبل جماعات الضغط ومختلف الجهات الأخرى التي تقدم لها خدمات .

المحور الثالث: دور مراكز الفكر في الحرب الأمريكية على العراق 2003

أولا: أهم المشاريع الداعية للحرب على العراق:

لقد سعت الكثير من مراكز الفكر الأمريكية منذ البداية لتوجيه السياسة الخارجية الأمريكية لتخوض الحرب المسماة بحرب تحرير العراق، وقد ظهر ذلك في محاولة إقناع الرئيس بل كلنتون باستبدال سياسة الاحتواء المتبعة مع الحكومة العراقية حينها إلى سياسة تغيير النظام حيث قدم مجموعة من خبراء مركز بحوث القرن الأمريكي الجديد (PNAC) رسالة إلى الرئيس بيل كلنتون بتاريخ 1998/1/26 بهذا الشأن يدعو فيها إلى إجراء تغيير فوري في النظام العراقي وتطبيق التوصيات الواردة في دراسة "اختراق نظيف"-دراسة أصدرها معهد مشروع القرن الأمريكي الجديد في عام 1997 بعنوان: "اختراق نظيف: إستراتيجية جديدة لحفظ أمن المملكة"، وقد كان من بين الموقعين على هذه الرسالة كل من (إليوت أبرامز، ريتشارد بيرل، ريتشارد أرميتاج، جون بولتون، زلماي خليل زاد، بيتر رودمان، بول ولفويتز، روبرت زوليك) وكل هؤلاء أصبحوا جميعا أعضاء في إدارة بوش الابن، ولكن إدارة كلينتون رفضت تطبيق هذه التوصيات، وبقيت هذه التوصيات دون تأثير حتى عام 2003م، حيث تم وضعها موضع تنفيذ فعلي في السياسة الخارجية، وسبب التأخر في تنفيذ هذه التوصيات راجع إلى عدة عوامل تتمثل فيما يلي[23]:

- عدم وجود تبريرات كافية لوضع توصية الحرب ضد العراق موضع التنفيذ الفعلي، دفع إدارة كلينتون إلى رفض التوصيات الواردة ضمن هذه الدراسة.
- إن التغيرات التي حصلت في الإدارة الأمريكية مع بداية عام 2001، وتولي إدارة أمريكية جديدة للمهام في البيت الأبيض، واعتماد هذه الإدارة على عدد كبير من "المحافظين الجدد" وبشكل خاص في مجال السياسة الخارجية، أعطى هذه الدراسة أهمية في المراحل اللاحقة.

– أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتغييرات الكبرى التي طرأت على تفكير إدارة بوش، دفع باتجاه اعتماد مبدأ "الضربات الاستباقية" لمحاربة الإرهاب كأساس جديد في السياسة الخارجية، مما أدى إلى وضع توصية الحرب ضد العراق موضع التنفيذ الفعلي، باعتبار أنها خطوة استباقية ضد الإرهاب الذي يمارسه النظام العراقي.

إن أحداث 11 سبتمبر2001 دفعت بمراكز الفكر الأمريكية للتركيز أكثر لإنتاج أفكار وتحليلات من شأنها أن تؤدي لتطوير ومراجع العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي وكيفية، فمع بداية أحداث 09/11 تتدافع المدراء التنفيذيون والصحفيون في شبكات التلفزة في الولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد خبراء يمكنهم الجواب عن سؤالين حرجين هما: لماذا هوجم اثنان من أكبر رموز القوة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية(مركز التجارة العالمي والبنتاغون)؟ ومن المسؤول الأول عن تدبير وتنسيق هذه الأعمال؟[24]، فأحداث 11 سبتمبر كانت فرصة بالنسبة لهذه المراكز للتأكيد على دورها الأساسي في صناعة السياسة الخارجية الأمريكية، حيث وجد الرئيس بوش نفسه مضطرا للاعتماد بشكل متزايد على الأكاديميين، فجرى تعيين البروفيسور زلماي خليل زاد عضوا في مجلس الأمن القومي ومستشارا للرئيس لشؤون أفغانستان، ثم سفيرا في العراق، وأصبح يستعين بكل من برنارد لويس (أستاذ برينستون) وفؤاد عجمي (أستاذ الشرق الأوسط في جامعة هوبكنز) لحضور اجتماعات مجلس الأمن القومي، وأخذت هذه المراكز تتجه بقوة نحو اليمين، وقد شهد مجلس العلاقات الخارجية الذي يعد أبرز مراكز البحث الليبرالية انعطافة شديدة بهذا الاتجاه، بلغ حد تولي أحد رموز إدارة بوش-رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية-ريتشادر هاس رئاسته، هذا الأخير الذي عرف بإسهامه الواسع في وضع العقيدة الأمنية الجديدة للولايات المتحدة وهو أيضا من أنصار مبدأ الضربة الوقائية[25]، وبالتالي قدمت هذه المراكز المشورة لصناع القرار فيما يتعلق بهذه الأحداث وما تبعها من قرارات احتلال أفغانستان والعراق والترويج للحرب العالمية ضد الإرهاب.

لتأتي إستراتيجية الأمن القومي التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش عام 2002، والتي كانت الأساس السياسي لقرار الحرب على العراق، والتي هي ليست سوى نسخة مطورة عن ورقة أعدها فريق المحافظين الجدد (رامسفيلد، ريتشارد بيرل، وولفريتز، فايث) في نهاية عهد بوش الأب عام 1992، وقد أنجزت هذه الورقة في مراكز الأبحاث التي يسيطر عليها المحافظون الجدد، ثم جرت إعادة صياغة هذه الورقة عام 2002 في مؤسسة مشروع القرن الأمريكي تحت عنوان: "وثيقة الأمن القومي الأمريكي"، وبذلك تحولت بعد عشر سنوات إلى إستراتيجية رسمية للدولة، بعدما قفز صانعوها إلى قيادة الدولة، مع انتخاب جورج بوش الابن رئيسا للولايات المتحدة، فعبر مراكز الأبحاث والدراسات الأمريكية think-tanks تصنع الشركات الكبرى رؤية سياسية لدور الولايات المتحدة في

العالم، ومواقفها من قضايا السياسة الخارجية، وفقا لمصالح القطاع الخاص، ويتم بعد ذلك تسويق هذه السياسات من خلال وسائل الإعلام الضخمة، التي تخضع بدورها لسيطرة هذه الدوائر نفسها، وأخيرا، وبعد صنع رأي عام مساند للسياسات المطروحة تنتقل العملية إلى التنفيذ، على أيدي المسؤولين الذين كانوا يعملون في هذه المراكز ومازالوا يتعاونون معها[26].

ثانيا: دور مراكز الفكر في الانسحاب الأمريكي من العراق 2011:

أما فيما يتعلق بمسألة الانسحاب فنجد أن محللو مؤسسة راند مثلا دعوا لأن ترسي الولايات المتحدة نمطا محددا من المعايير والإجراءات التي ستؤدي في النهاية إلى انسحاب القوات الأمريكية من العراق وتشجيع حلول الأمن الوطني وتحسين فرص دعم النجاح ضد التمرد، بما يضمن الحفاظ على المصالح الأمريكية وصيانتها حاضرا ومستقبلا، في حين أن معهد بروكينغز قدم بعض الطروحات لحل المشكلة العراقية، من خلال الدعوة لجمع الأطراف المتحاربة لتسوية الخلاف، وتقديم الدعم للدول المجاورة للعراق، ومنع تدخلها في شؤونه، كما دعا للعمل على وضع "الخطوط الحمراء" أمام التدخل الإيراني الواضح في العراق، وهو نفس الشيء الذي دعا إليه مركز كارنيجي الذي كان يدعو لضرورة سحب القوات الأمريكية بشكل تدريجي من العراق، وإبقاءه خارج النفوذ الإيراني[27]، هذا بالإضافة إلى العديد من مراكز الفكر الأمريكية الأخرى التي دعت للحل الأزمة العراقية بطريقة سياسية ودبلوماسية تضمن خروج الولايات المتحدة الأمريكية من هذا المستنقع من جهة، وتحافظ على مصالحها في المنطقة من جهة أخرى.

وبالتالي فحتى بالنسبة لانسحاب القوات الأمريكية من العراق كان لهذه المراكز دور مهم فيه، فبالإضافة إلى مجموعة الضغوط التي مورست من قبل مختلف الفواعل الرئيسية في صنع القرار الأمريكي خاصة الرأي العام على إدارة بوش الابن، وكذا إدارة أوباما من أجل الخروج من المأزق العراقي، عملت هذه المؤسسات على وضع أنسب التصورات والخطط حول الانسحاب الأفضل للقوات الأمريكية، والذي يضمن أكبر قدر ممكن المصالح الأمريكية في المنطقة.

خاتمة:

يتضح من هذه الدراسة أن مراكز الفكر والرأي لعبت ومازالت تلعب دورا بارزا ومهما في صنع وتوجيه السياسة الخارجية الأمريكية، وذلك من خلال إمدادها بمجموعة من النصائح والإرشادات، والاستراتيجيات التي يتم اعتمادها من قبل صناع القرار في صنع السياسة الخارجية تجاه منطقة معينة، وذلك انطلاقا من اعتمادها على مجموعة من الوسائل والآليات التي تساعدها في التأثير على صانعي السياسة الخارجية من أجل إتباع استراتيجيات معينة والامتناع عن استراتجيات أخرى،، وقد ظهر دور هذه المراكز بوضوح في الحرب الأمريكية على العراق، هذه الحرب

التي كان بداية التخطيط لها ضمن مراكز الفكر والرأي، خاصة مع مجموعة البحوث والدراسات التي أصدرها مشروع القرن الأمريكي الجديد، والتي كانت تدعوا لتغيير نظام الحكم في العراق بما يخدم المصالح الأمريكية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد عملت هذه المراكز على متابعة السياسة الأمريكية في العراق حتى بعد الغزو وقد تم اقتراح إستراتيجية الانسحاب من العراق من أجل الحفاظ على المصالح الأمريكية التي تضررت بسبب هذه الحرب.

وبالتالي فإن دور هذه المؤسسات يظهر بوضوح في عملية صنع السياسة الخارجية الأمريكية خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك شبكة واسعة من مراكز البحث والتفكير في شتى مجالات العلم والمعرفة، والتي تساعد في إنتاج إستراتيجيات مناسبة تخدم المصالح الأمريكية في أي منطقة في العالم .

الهوامش :

[*] تترجم عبارة Think-Tanks على أنها تعني "مراكز التفكير" فكلمة Think تعني التفكير وكلمة Tank تحمل أكثر من ترجمة فهي تعني (الوعاء أو الحاوية)، وهناك من يترجمها إلى "بنوك التفكير أو الفكر"، ولكن في الغالب يتم استخدام تعبير "مراكز الأبحاث والدراسات"، وقد عرفت هذه المراكز باسم مراكز الدراسات والأبحاث لغاية الأربعينيات من القرن العشرين، ولكن أثناء الحرب العالمية الثانية استخدمت عبارة"brain boxes" والتي تدل على عبارة (صناديق الدماغ أو المخ) باللهجة العامية الأمريكية وهي كانت تمثل الغرف التي يناقش فيها الإستراتيجيون التخطيط الحربي لمزيد من التفصيل أنظر: حزب البعث العربي الاشتراكي، "مراكز الدراسات الأمريكية وصناعة القرار"، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد الأول، (تشرين الأول)2008، ص 16.

[1] - ستيفن بوشيه، مارتين رويو، مراكز الفكر: أدمغة حرب الأفكار، الطبعة الأولى، ترجمة: ماجد كنج(لبنان: دار الفارابي،2009)، ص ص57-58.

[2]- howard j.wiarda, "the new powerhouses think tanks and foreign policy" , American foreign policy Interests, Volume30, Number 2, 2008,p 96.

نقلا عن خالد وليد محمود،"دور مراكز الأبحاث في الوطن العربي: الواقع الراهن وشروط الانتقال إلى فعالية أكبر" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص 5.

[3]- " History and Mission"/ RAND, Available at: http://www.rand.org/about/history.html.

[4] - مصطفى صايج،"السياسة الأمريكية تجاه الحركات الإسلامية (التركيز على إدارة جورج ولكربوش2000-2008)"، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر،2006 -2007)، ص 366.

[5] - حزب البعث العربي الاشتراكي، "مراكز الدراسات الأمريكية وصناعة القرار"، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد الأول، (تشرين الأول)2008، ص ص 18.

[6] - أميمة عبد اللطيف، "قراءة في خرائط مراكز الفكر الأمريكية"، المتابع الإستراتيجي، العدد (9-1)، (آذار)2005، ص 13.

[7] - حزب البعث العربي الاشتراكي، مرجع سابق، ص ص 19-22.

[8]- Richard N. Haass" ,Think Tanks And U.S Foreign Policy: A Policy-Maker's Perspective," An Electronic Journal of The U.S. Department of State, Volume 7, Number3, November(2002),p5.

[9]- بسمة خليل نامق، "مؤسسات مخازن التفكيرThink Tanks ودورها في صياغة السياسة الخارجية للدولة الحديثة النموذج الأمريكي"، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، المجلد 2، العدد 2، (كانون الأول)2009، 135.

[10] - حزب البعث العربي الاشتراكي، المرجع السابق، ص 24.

[11] - بسمة خليل نامق، المرجع السابق، ص ص 139-140.

[12] - Donald E. Abelson, " Think Tanks And U.S. Foreign Policy: An Historical Perspective," An Electronic Journal of The U.S. Department of State, Volume 7, Number3, November(2002),p p 10-11.

[13]- Ibid, p12.

[14] - عمر العبد الله وآخرون، "دور مراكز الأبحاث والدراسات في السياسة الخارجية الأمريكية"، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 30، العدد، 2، 2008، ص 6.

[15].146 -142 - بسمة خليل نامق، المرجع السابق، ص ص

* From the perspective of U.S. policy-makers, today's think tanks offer five principal benefits. He says they generate "new thinking" among U.S. decision-makers, provide experts to serve in the administration and Congress, give policy-makers a venue in which to build shared understanding on policy options, educate U.S. citizens about the world, and provide third-party mediation for parties in conflict".

[16] - Richard N. Haass, "Think Tanks And U.S Foreign Policy: A Policy-Maker's Perspective," Ibid ,p5.

[17] - رنده علوان حسين، "مؤسسة راند الأمريكية ودورها في السياسة الخارجية الأمريكية"، مجلة العلوم السياسية والدولية، العدد 25، 2014، ص 3-4.

[18]- Robert E. Hunter, "Think Tanks: Helping to Shape U.S. Foreign And Security Policy," An Electronic Journal of The U.S. Department of State ,Volume 5 , Number 1,(March) 2000,pp 35-36.

[19] - كريم القاضي، ملف الأهرام الإستراتيجي: "مراكز الدراسات" المؤثرة على السياسة الخارجية الأمريكية، المتابع الإستراتيجي، العدد(9-1)، (آذار)2005، ص ص 56-57.

[20]- Donald E. Abelson" ,Think Tanks And U.S. Foreign Policy: An Historical Perspective," Ibid, pp 9-12.

[21] - حزب البعث العربي الاشتراكي، المرجع السابق، ص ص 28-31.

[22] - عبير بسيوني عرفة، السياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، الطبعة الأولى (القاهرة: دار النهضة العربية، 2011)، ص 28.

[23] - عمر العبد الله وآخرون، المرجع السابق، ص 11.

[24]- Donald E. Abelson, " Think Tanks And U.S. Foreign Policy: An Historical Perspective, Ibid, pp 9-12.

[25] - شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الأمريكية الخارجية بعد 11 أيلول 2001، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009)، ص 43.

[26] - حزب البعث العربي الاشتراكي، المرجع السابق، ص 13.

[27] - نفسه، ص 47.